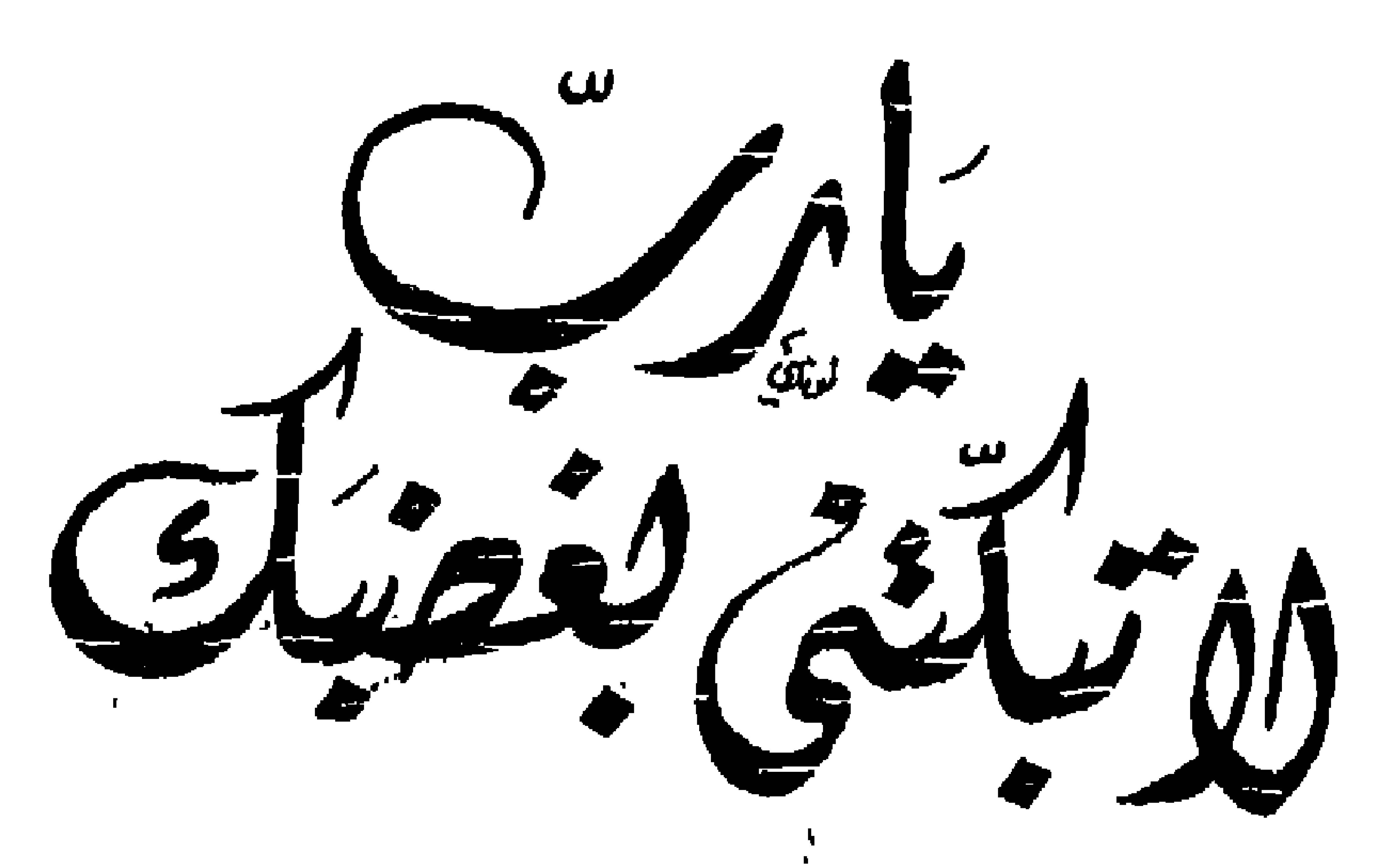
البابا شنوده الثالث





البابا شنوده الثالث



Contemplation on The 6th Psalm

By H. H. Pope Shenouda III

1st Print

Jun, 1995

Cairo

الطبعة الأولى

يونيو ١٩٩٥

القاهرة

الكتاب : تأملات فى مزمور يارب لا تبكتنى بغضبك .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس
الطبعة : الأولى - يونيو سنة ١٩٩٥ .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٥/٤٦٤٦
I. S. B. N. 977 - 5345 - 26 - X



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقدمة

المزمور السادس من مزامير صلاة باكر .

وأيضاً هو من مزاميرالتوبة ، مثل المزمور الخمسين .

وكذلك هو صراخ إلى الله ، من إنسان في ضيقة : مثل المزمور ١٢ (١٣) "إلى متى يارب تنساني" ومثل المزمور الثالث "يارب لماذا كثر الذين يحزنوني .. "

إنه يناسب من هو في ضيقة عادية من أعدائه ، ومن هو في تعب روحي من الخطية ومن الشيطان ...

إنه يعبر عن مشاعر يمكن أن تمر في قلوب كثيرين ، يطلبون الرحمة من الله .

وقد اهتمت الكنيسة بهذا المزمور ، فكررته في بعض صلوات الأجبية : في صلاة باكر ، وفي صلاة الستار للرهبان ، وفي صلاة نصف الليل ...

وهو أيضاً من المزامير التي تبدأ بشرح التعب ومشاكل الأعداء المضايقين ، ولكن تنتهي بالفرح . ويشعر المصلي أثناء صلاته أن

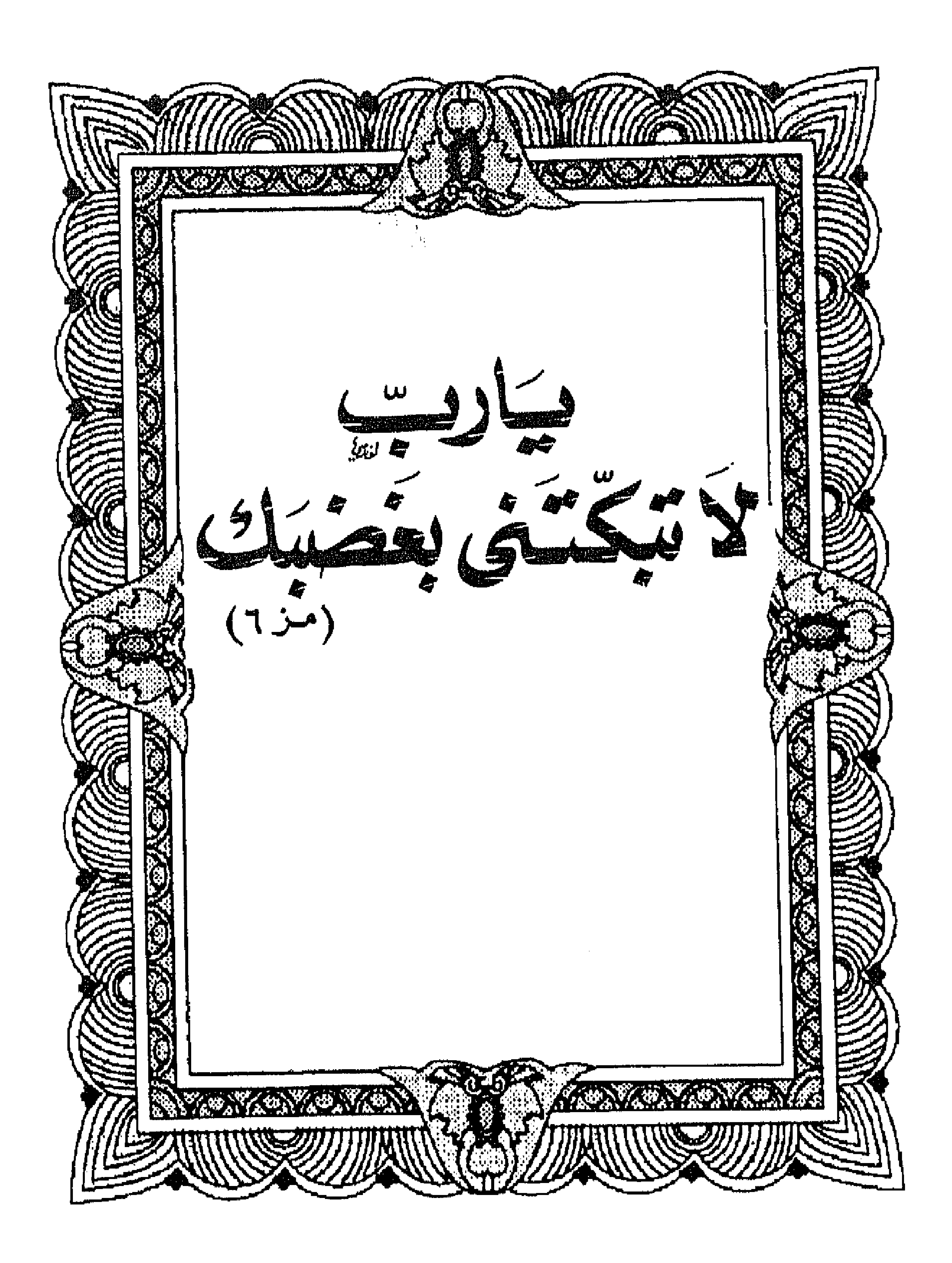
الله قد قبلها وقد استجاب ، مما يدعو إلى التهليل والتسبيح .

يشبه في ذلك المزمور الثالث ، وأيضاً المزمور الثاني عشر . نفس الروح ، ونفس الإستجابة .

ولقد قمت بإلقاء التأملات في هذا المزمور في أواخر سنة ١٩٦٨ في الإجتماعات يوم الجمعة . وظل التأمل محفوظاً في الكاسيتات الصوتية ، إلى أن شاء الله أن يطبع بعد حوالي ٢٧ عاماً، ويصل إلى يديك أيها القارئ العزيز .

وهو واحد من مزامير كانت موضع تأملاتنا في تلك الفترة . وقد نشرنا بعضها ، وأرجو أن يكون الباقي في طريقه إليك إن شاء الله .

أبريل ١٩٩٥ | البابا شنوده الثالث



يَاربّ

لاَ تبكّتنى بغَضبَك

(مز ٦)

يارب لا تبكتني بغضبك

(مز ٦)

يارب لا تبكتنى بغضبك ، ولا تؤدبنى بسخطك

ارحمنى يارب لأنى ضعيف

اشفنى فإن عظامى قد اضطربت ، ونفسى قد انزعجت جداً .

وأنت يارب فإلى متى .

عد ونج نفسى ، واحينى من أجل رحمتك .

لأنه ليس فى الموتى من يذكرك ، ولا فى الجحيم من يعترف لك .

تعبت فى تنهدى . أعوّم كل ليلة سريرى ، وبدموعى أبل فراشى .

تعكرت من الغضب عيناى . هَرِمْتُ من سائر أعدائى

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم

لأن الرب قد سمع صوت بكائى . الرب سمع تضرعى . الرب لصلاتى قبل .

فيلخزَ وليضطرب جداً جميع أعدائى .

وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى . هللويا .

يارب لا تبكتني بغضبك

لا تبكتني بغضبك

هذا المزمور من مزامير التوبة المشهورة ..

ومن إهتمام الكنيسة به ، وضعته في صلاة باكر ، وفي صلاة نصف الليل ، وفي صلاة الستار التي يصليها الرهبان . يقول داود في مقدمته :

" يارب لا تبكتني بغضبك ، ولا تؤدبني بسخطك .

وهو هنا يعترف بخطيئته ، ويعترف بأنه يستحق التبكيت والتأديب ، إنما يطلب ألا يكون ذلك شديداً عليه .

يقول للرب " لا تبكتني بغضبك" ، لأنه إنسان ضعيف ، لا يحتمل غضب الله .. لو أدبتني يارب بغضبك ، يمكن أن تفنيني ، ولا تبقي عليّ . وهذا المعنى قاله أيضاً أرميا النبي "أدبني يارب، ولكن بالحق . لا بغضبك لئلا تفنيني " (أر ١٠: ٢٤) .

هو لا يعفى نفسه من التبكيت، ولكنه يقول : لا تبكتنى بغضبك:

لأنه " مخيف هو الوقوع فى يدىّ الله الحى " (عب١٠: ٣١) .

عندما غضب الله غضبة شديدة على خطايا الناس، أغرق العالم بالطوفان . ثم رجع وتحنن، ووضع علامة حتى لا يعود يفنى كل ذى جسد على الأرض (تك٩: ١٥) . ثم غضب غضبة أحرق بها مدينة سادوم (تك١٩) . وغضب الرب على فرعون ، فأغرقه هو وكل جنوده فى البحر الأحمر (خر١٤: ٢٨) . وغضب الرب على قورح وداثان وابيرام ، فابتلعتهم الأرض وهم أحياء (عد١٦: ٣٢).

✠ ✠ ✠

ونحن نخطئ كل يوم . وربما تكون خطايانا فى مثل خطايا أولئك الناس .

ونصرخ إلى الرب ونقول : لا تبكتنا بغضبك .

لو عاملتنا يارب بغضبك ، فلن يخلص أحد . ونحن نصلى للرب فى صلوات الصوم الكبير ، ونقول " لأنه إن عاملتنا يارب بعدلك، فلن نجد حجة " . لذلك يقول داود للرب "لا تبكتنى بغضبك".

التبكيت له بركات ، ويمكن أن ننتفع بها .

لكن يارب لا تبكت بغضبك ، ولا بسخطك .

✠ ✠ ✠

ولنا مثال عجيب فى تبكيت ربنا يسوع المسيح لبطرس الرسول: ذلك الذى أنكر ولعن وجدف ، وقال عن السيد لا أعرف الرجل . ولكن الرب بكته تبكيتاً خفيفاً هادئاً ، لا بغضبه ولا بسخطه . فقال له "يا سمعان بن يونا. أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ ارعَ غنمى. ارعَ خرافي... " وكرر السؤال ثلاث مرات (يو ٢١: ١٥- ١٧) .

لم يذكرّه علناً بإنكاره وخطاياه . دون أن يجرحه ويحرجه .

إن الله لا يخدش مشاعر الناس ، ولا يجرح قلوبهم .

إلا فى الضرورة القصوى . تماماً كالطبيب الطيب ، الذى بكل رقة يعالج المريض ، لا بقسوة ولا بسخط .

✠ ✠ ✠

وكثير من الخطايا لم يبكت عليها الله ...

ابراهيم أبو الآباء مثلاً ، قال عن ساره أنها أخته . حتى أخذها أبيمالك ملك جرار إليه ... (تك ٢٠: ٢) . ما هو التبكيت الذى أخذه من الرب . بكت أبيمالك ، ولم يبكت ابراهيم . صحيح أن ابراهيم ناله تبكيت من أبيمالك الذى قال له "ماذا فعلت بنا، وبماذا أخطأت إليك، حتى جلبت علىّ وعلى مملكتى خطية عظيمة ؟! أعمالاً لا تُعمل عملت بى" (تك٢٠: ٩) . ولكن الله لم يقل له شيئاً . كفى ما ناله .

الإنسان هو الوحيد الذى يكثر من التبكيت .

" والذى يكثر من التبكيت يخرب نفسه " كما قال الحكيم . ويخسر أصدقاءه كما هو عملى فى الحياة .

يارب لا تبكتنى بغضبك . بكتنى كما بكت بطرس وإن احتاج الأمر إلى غضب ، لا يدم غضبك إلى الأبد . إننا نصلى إلى الله ونقول "ارفع غضبك عنا" . يتابع داود صلاته فيقول :

لا تؤدبنى بسخطك

أدبنى يارب ... فأى إبن لا يؤدبه أبوه ؟! ... والذين لا يقبلون التأديب هم نغول لا بنين (عب ١٢: ٨) .

أدبنى فإن التأديب نافع لى، وأنا أستحقه ، لأننى فعلت ما يستوجب التأديب وأكثر . ولكن لا تؤدبنى بسخطك بل أدبنى حسبما أحتمل .

وتأديبك يارب أنا أقبله برضا .

اِرحمنى يارب فإنى ضعيف

(ارحمنى) هى أكثر كلمة مستعملة فى الكنيسة وفى صلواتها. ولا توجد صلاة فى رفع بخور باكر أو فى رفع بخور عشية أو فى

المزامير ، إلا وفيها عبارة (ارحمنا) . ونكررها مرات كثيرة فى قولنا (كيرياليصون)

ارحمنى يارب فإنى ضعيف ... وأيضاً لأن قلبك واسع يتسع لكل خطية .. أياً كان نوعها .

✠ ✠ ✠

ارحمنى يارب ، لأنك لو لم ترحمنى أنت ، لا يمكن أن يرحمنى أحد غيرك .

لو أن قلبك أنت قد أغلق ،لا أجد قلباً آخر . رحمتك هى الستر الذى أختبئ وراءه فلا تظهر خطاياى . رحمتك هى أساس الفداء . هى أساس الخلاص .

✠ ✠ ✠

ارحمنى يارب تعنى حوّل خطاياى إلى رأس المسيح .

وهذا الذبيح العظيم المخلص ، يمحو خطاياى بدمه الكريم .

إن كان داود قد قال (ارحمنى) قبل الفداء ، وله رجاء كبير أن هذا الفداء سيحدث . فنحن لنا رجاء أعظم بعد أن تم الفداء ... إذن يارب إحسبنى ضمن الذين سفكت دمك من أجلهم .

ارحمنى يارب فإنى ضعيف . اشفنى فإن عظامى قد أضطربت ونفسى قد انزعجت جداً .

✠ ✠ ✠

فرق كبير بين داود العنيف وداود الضعيف .

بين داود الذى استل سيفه ، وطلب من عبيده أن يستلوا أيضاً سيوفهم ، ليمضى ويقتل نابال الكرملى ، إذ لم يعطه شيئاً يوم جزّ الغنم (١صم٢٥: ١٣، ٢٢) وقال كلاماً صعباً ، جعل أبيجايل تأتى بسرعة لإنقاذ الموقف ..

كان كذلك فى عنفه . وأجازه الله فى التجربة .

ثم أخطأ داود ، وتذلل وتاب ، وبلل فراشه بدموعه . وعرف هذا الملك الجبار ، وهذا القائد العظيم ، وهذا النبى الكبير ، أنه يمكن أن يوجد فى داخله قلب ضعيف يمكن أن يشتهى ويسقط .

وهكذا تذلل وقال ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

أنا لست داود ، الذى استطاع فى قوة أن يقتل جليات ، ولست داود الذى هدّد نابال الكرملى . أنا الآن رجل ضعيف أمامك . فارحمنى يارب .

الله مع الضعفاء

ودائماً الرب يرحم الضعفاء .

أما الشخص الجبار العنيف القاسى الشديد ، يكون بعيداً عن رحمة الله . إلهنا هو إله الضعفاء . "اختار الله ضعفاء العالم ،

ليخزى بهم الأقوياء " (١كو ١: ٢٧) . القوى يعتمد على قوته . أما الضيعف فهو الذى يقف الله إلى جواره .

✠ ✠ ✠

حتى الأقوياء الذين اختارهم الله .

كانوا يقفون أمامه كضعفاء . كل واحد منهم يقول له " ارحمني يا الله لأني ضعيف " .

خذوا مثلاً يرينا أهمية الشعور بالضعف : إيليا النبى الجبار العنيف ، الذى قال تنزل نار من السماء وتأكل الخمسين (٢مل١: ١٠) . إيليا الذى أمسك أنبياء البعل والسوارى أربع مائة وخمسين وذبحهم (١مل ١٨: ٤٠) . وكأن الله يقول لإيليا : هذه الشدة من الجائز أن تتعبك يا إبنى ...

فماذا فعل الله : سمح أن إيزابل الملكة تهدد إيليا . فخاف إيليا وذهب إلى البرية . ولاقاه الله هناك . وقال له مالك ههنا يا إيليا؟ فقال له فى خوف : قتلوا أنبياءك بالسيف وبقيت أنا وحدى . وهم يريدون نفسى ليأخذوها (١مل١٩: ١٤) .. أخيراً أمكن أن تخاف يا إيليا ..!!

✠ ✠ ✠

وحتى الجبابرة يسمح لهم الله أحياناً أن يخافوا أو يضعفوا ،

لأنه يريد القلب المنسحق المتخشع ...

الإنسان الذى يقف مسكيناً أمام الله ، هو الذى يستطيع أن يقف فى قوة أمام الناس .. أما الذين يشعرون فى أنفسهم أنهم جبابرة : فهؤلاء يبعد الله عنهم .

✠ ✠ ✠

هناك آيات عن هذا الموضوع فى أشعياء النبى فى الإصحاح الثانى . قال :

" إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع. وعلى كل أرز لبنان العالى ، وعلى كل بلوط باشان . وعلى كل الجبال العالية ، وعلى كل التلال المرتفعة . وعلى كل برج عالٍ ، وعلى كل سور منيع ... **فيخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس . ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم** " (أش٢: ١٢- ١٧) .

✠ ✠ ✠

الناس الجبابرة المعتزون بقوتهم ، والمعتزون بسلطانهم ، والمعتزون بعنفهم .. يرى كل منهم أنه يستطيع أن يضرب، ويستطيع أن يذل غيره ، ويستطيع أن يعاقب ويسيطر . يا خوف هذا الإنسان من هذه الآية التى تقول " إن لرب الجنود يوماً على كل

متعظم وعالٍ ، يُخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم " .. كلام له عمقه وله موسيقاه..

هذا الشخص العالى المتشامخ ، يجب أن ينسحق أمام الله ، ويقول له : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...

قد تكون برجاً عالياً فى وظيفتك . قد تكون أرز لبنان أمام الناس. ولكن ينبغى أن تتضع وتقول ارحمنى يارب فإنى ضعيف . لأن الرب قادر أن يسحق أرز لبنان ، وقادر أن يقطع بلوط باشان، ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم ...

✠ ✠ ✠

الواقع يا أخوتى ، إننا حينما نتتبع معاملات السيد المسيح للناس، نجده حنوناً جداً ورقيقاً جداً على الضعفاء والمساكين، ونجده شديداً فى معاملة العنفاء .

لم يقف المسيح أبداً ضد إنسان مسكين . كان يجمع الضعفاء ويحتضنهم ويشفق عليهم .

✠ ✠ ✠

المرأة المضبوطة فى ذات الفعل ، أنقذها وقال لها "وأنا أيضاً لا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً (يو٨: ١١) . يكفيها ما نالته من

الذل والفضيحة . أما العنفاء الذين شهروا بها، وجروها للحكم ، فإنه كتب لهم اخطأءهم على الأرض . وقال لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر" (يو٨: ٧) . فبدأوا بخزى ينصرفون الواحد تلو الآخر .

فلماذا انصرفوا فى خزى؟ لأن الرب نفذ نفس الآية "يخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس .. " فكأنه يقول لهم "اخفضوا رؤوسكم بعض الشئ، وكفى تشامخاً ، فأنتم أيضاً خطاة تحت الحكم..! كفى سعياً وراء رجم هذه المرأة أو غيرها .. فكل واحد منكم محتاج أن يقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...

✠ ✠ ✠

إن كنت تريد أن يرحمك الله لأنك ضعيف ، ارحم الضعفاء .

تقول له : ارحمنى يارب فإنى ضعيف . فيجيبك : أين هو هذا الضعف : هل فى هذا الإنتفاخ والعظمة ضعف؟! هل فى هذا الجبروت ضعف ؟ .. حينما تكون ضعيفاً ، حينئذ سأرحمك .. هل يستطيع أحد أن يقول : ارحمنى يارب أنا الجبار ! ارحمنى يارب أنا البار ! كلا ، إن هذا الأسلوب لا ينفع فى طلبك الرحمة من الله .

✠ ✠ ✠

تذلل داود أمام الله . وكأنه يقول :

لست أنا الجبار الذى قتل جليات ، بل أنا الضعيف الذى قتلته

الخطية مع بشبع .

وقتلت النقاوة التى فيه ، وإن كان الله فيما بعد قد أعاد له بهجة خلاصه .

✠ ✠ ✠

كان السيد المسيح رفيقاً بالخطاة والعشارين ، رفيقاً بتلك المرأة التى بللت قدميه بدموعها ، أكثر من الفريسى البار فى عينى نفسه ، الذى أدانها فى فكره .

إن الله لم يوبخها على خطية واحدة ، بل ذكر لها محبتها وانسحاقها ، وقال لها مغفورة لك خطاياك . أما ذلك الفريسى المتكبر فقد كشف له الرب أن تلك المرأة الخاطئة كانت أفضل منه (لو٧: ٣٦- ٤٨). فلا داعى إذن للعجرفة ، وكان أولى به أن يقول كما فى المزمور "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" . ولأنه لم يكن ضعيفاً وقتذاك ، لذلك وبخه الرب . وقال له : **"دخلت بيتك ، وماء لرجلىّ لم تعطِ .. بقبلة لم تقبل فمى ... بالزيت لم تدهن رأسى ".** لم تقم بشئ من واجبات الضيافة والمحبة ، وكل عملك كان أن تدين فى قلبك . لذلك ينبغى أن يُخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس ، ويسمو الرب وحده " .

✠ ✠ ✠

وكان السيد المسيح رفيقاً بالعشار المعترف بخطيته الذى

يطلب الرحمة لنفسه ، أكثر من ذلك الفريسي الذى وقف يفتخر بفضائله فى صلواته . فخرج العشار مبرراً دون ذلك الفريسي (لو١٨: ٩- ١٤) .

✠ ✠ ✠

وكان السيد المسيح أيضاً رفيقاً بالأمميين ، وبالسامريين ، وبالمولود أعمى الذى أخرجوه خارج المجمع . فقابله وأظهر له ذاته ودعاه إلى الإيمان (يو٩: ٣٥- ٣٨) .

أما العنفاء فإن الرب يتركهم إلى أن يتركوا عنفهم ، ويحاول أن يهديهم . لقد وبخ الكهنة والشيوخ ، وكذلك الكتبة والفريسيين ، لأنهم كانوا أشداء عنفاء وكذلك وبخهم على شدتهم ، فقال لهم :

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون أنتم، ولا تجعلون الداخلين يدخلون" " أنكم تركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان " (مت٢٣: ١٣، ٢٣) . ووبخهم أيضاً على قسوتهم لأنهم قتلوا الأنبياء" (مت٢٣: ٣١) .

وبخهم كذلك "لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عثرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم " (مت٢٣: ٤) .

✠ ✠ ✠

ولكن أليست هذه الوصايا الثقيلة ، هى وصاياك أنت يارب؟

يقول : كلا ، إن وصاياى ليست ثقيلة (١يو٥: ٣) أنا "نيرى هين وحملى خفيف" (مت١١: ٣٠) . أنا لا أضع أحمالاً ثقيلة على الناس. 'إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقولها لكم . ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا " (يو١٦: ١٢) . إذن لا داعى لها حالياً .

✠ ✠ ✠

وهكذا كان رسل الرب بنفس منهجه . حينما اجتمعوا معاً فى مجمعهم بأورشليم من أجل قبول الأمم، قالوا : " لا نثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم" (أع١٥: ١٩، ٢٠، ٢٨) .

وبولس الرسول الطيب الذى لا يريد أيضاً أن يثقّل على الناس، قال "لم استطع أن أكلمكم كروحيين، بل كجسديين ، كأطفال فى المسيح. "سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون" (١كو٣: ١، ٢) .

✠ ✠ ✠

لقد اختار الرب يعقوب الضعيف أكثر من عيسو العنيف. واختار يوسف الضعيف الذى تآمر أخوته عليه ، وباعوه كعبد .

أختار يعقوب الذى كان يصرخ له ويقول "صغير أنا عن جميع

ألطافك وعن جميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك .. نجنى من يد أخى ، من يد عيسو ، لأنى خائف منه أن يأتى ، ويضربنى الأم مع البنين " (تك٣٢: ١٠، ١١) . وهكذا قيل إن الله أحب يعقوب وأبغض عيسو (رو٩: ١٣) . وقيل لأمه قبل أن يولدا أن الكبير يستعبد للصغير (تك٢٥: ٢٣) (رو٩: ١٢) .

✠ ✠ ✠

وكان الرب مع يوسف الصغير ، الذى ألقاه أخوته فى البئر ثم باعوه للإسماعيليين (تك٣٧: ٢٠، ٢٩) .

يوسف الضعيف أمام مؤامرة إمرأة فوطيفار ، الذى طَرح فى السجن ظلماً (تك٣٩: ١٩، ٢٠) ... يوسف هذا رفعه الرب، وجعله أباً لفرعون ، وسيداً لكل بيته ، ومتسلطاً على كل أرض مصر" (تك٤٥: ٨) .

وهكذا نصره الله على اخوته الضعفاء الذين باعوه ، وجعلهم يأتون ويسجدون أمامه (تك٤٣: ٢٦، ٢٨) .

✠ ✠ ✠

ووقف الله مع موسى الضعيف .

موسى الثقيل الفم واللسان ، وقف الله معه ضد فرعون الجبار ونصره عليه . موسى هذا الذى قال لله "أنا لست صاحب كلام منذ

أمس ولا قبلاً من أمس" (خر٤: ١٠) "من أنا حتى أذهب إلى فرعون ؟ "وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر؟! (خر٣: ١١) ، كيف يسمعنى فرعون ، وأنا أغلف الشفتين؟!" (خر٦: ١٢) .

موسى هذا الحليم الوديع ، الذى قال عنه الكتاب "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

موسى هذا ، قال له الله "جعلتك إلهاً لفرعون" (خر٧: ١) .

أى سيداً له . وقال له عن أخيه هارون "تكلّمه وتضع الكلمات فى فمه .. هو يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً" (خر٤: ١٥، ١٦) . أى مصدر الوحى الذى يوحى إليه بما يقوله من كلام .

بل كان الله مع موسى ضد أخويه هارون ومريم، لما تقولا عليه بعد زواجه من المرأة الكوشية ، فدافع الرب عنه . وقال إنه "أمين على كل بيتى. فماً إلى فم ، وعياناً أتكلم معه" (عد١٢: ٧) . وضرب مريم بالبرص لأنها تقولت عليه ...

✠ ✠ ✠

مَن مِن الناس يستطيع أن يضع فى كفتى ميزان: موسى الضعيف وفرعون العنيف ؟!

ويقول مَن من هذين الإثنين يغلب ؟!

فرعون فى الخطوات الأولى استخدم سلطته وعنفه حسبما شاء، وأذل الشعب، حتى استاءوا من تدخل موسى لأجلهم . وفى كبرياء قال فرعون "من هو الرب حتى أسمع لقوله وأطلق اسرائيل؟! لا أعرف الرب ، واسرائيل لا أطلقه " (خر٥: ٢) .

أما عن النهاية : فموسى الهادئ الضعيف المسكين ، انتصر على جبروت فرعون .

✠ ✠ ✠

وهكذا الثلاثة فتية المساكين ، الذين حملوهم بكل عنف وألقوهم موثقين فى النار .

هؤلاء الضعفاء كان الرب معهم فى النار ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، ورائحة النار لم تأتِ عليهم . بينما لهيب النار المتقدة أحرق العنفاء الذين ألقوهم فى النار ... ولما أخرجوهم قال نبوخذ نصر "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو، الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده" .. ورفع مركزهم فى ولاية بابل (دا ٣: ٢٨، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

وبالمثل أنقذ الرب دانيال الضعيف الذى ألقوه المتآمرون القساة فى جب الأسود . أما الذين اشتكوا عليه ظلماً ، فقد أمر الملك داريوس أن "يطرحوهم فى جب الأسود هم وأولادهم ونساءهم .

ولم يصلوا إلى أسفل الجب ، حتى بطشت بهم الأسود، وسحقت كل عظامهم (دا٦: ٢٠- ٢٤) .

✠ ✠ ✠

كان الله أيضاً مع داود الفتى الضعيف ، حينما وقف أمام جليات الرجل الجبار .

هذا الجبار لما رأى داود ، احتقره وهزأ به، وحسبه طفلاً . أما داود فكان يضع الحصاة في المقلاع ، وكل نقطة من دمه تصرخ إلى الله بعبارة : ارحمنى يارب فإنى ضعيف. وكان الله مع ضعفه، ونصره على جليات . لأن الحرب للرب كما قال داود ، وكما قال لجليات " أنا آتيك باسم رب الجنود . " " اليوم يحبسك الرب فى يدى" (١صم١٧: ٤٥- ٤٧) .

✠ ✠ ✠

القديس الأنبا أنطونيوس الكبير يستخدم كلمة (ضعيف) .

حينما كانت تهجم عليه الشياطين فى البرية ، كان يقول لهم : أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟ .. أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم " . فلما كانوا يسمعون هذه الصلوات المملوءة إتضاعاً ، كانوا ينقشعون مثل الدخان. أما فى أعماقه فكانت عبارة "أرحمنى يارب فإنى ضعيف " .

✠ ✠ ✠

أنا يارب ضعيف أمامك .

وضعيف أمام الشيطان ، الذى هو "مثل أسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو " (١بط٥: ٨) . إنما قوتى بك . "قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً " (مز١١٨: ١٤) .

وأنا أيضاً ضعيف أمام نفسى . لذلك أطلب دائماً معونتك .

وأنا ضعيف أمام الناس ، أمام الأعزاء الذين طلبوا نفسى، ولم يسبقوا أن يجعلوك أمامهم " (مز٥٤: ٢) .

لذلك ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

✠ ✠ ✠

إذن فليحترس كل واحد منكم يا أخوتى ، إن وجد نفسه فى مركز قوة أو فى حالة عنف .

أو فى موقف اعتداد بالذات كمن يقول : أنا سأعمل، أنا سوف أؤدب . سوف ألقى عليهم درساً .

احترس يا أخى، إذا دُفع سلطان إلى يدك . احترس لنفسك ، واحترس من نفسك . ارفض استخدام القوة ، واستخدام السلطة ، واستخدام العنف . بل فى صلاتك قل :

ارحمنى يارب فإنى ضعيف . لا تدفع أحداً إلى يدى، ولا تدفعنى ليد أحد . قبل أن أقول : لا تعطِ لإنسان قوة يدوس بها علىّ،

أقول لا تعطنى يارب قوة أدوس بها على غيرى .

أعطنى باستمرار أن أكون مظلومـاً لا ظالمـاً ، ومصلوبـاً لا صالباً ، ومغلوباً لا غالباً . لأنك حينئذ ستكون معى . لا تعطنى أن أكون منتصراً على الناس ، بل أكون منتصراً على نفسى، أمامك .

فليخف كل واحد من القوة والعظمة والجبروت ، فإن لـرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ ، وعلى كل مرتفع فيوضع ...

✠ ✠ ✠

أمامنا مثال هو سنحاريب ملك أشور .

لقد اعتز بقوته جداً، وأرسل يهدد حزقيا ملك يهوذا بكل كبرياء. فماذا يفعل حزقيا أمام جيش عظيم جداً ، وأمام تهديد سنحاريب. شعر حزقيا بضعفه ، فمزق ثيابه ، وتغطى بمسح ، ودخل بيت الرب ... وصلى إليه قائلاً : افتح يارب عينيك وانظر، واسمع كلام سنحاريب .. والآن يارب خلصنا من يده (٢مل١٩: ١- ١٩) . وأرسل حزقيا رسلاً إلى أشعياء نبى الرب . وشعور حزقيا يقول: ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...

فكانت كلمة أشعياء النبى إلى سنحاريب : من عيّرت ؟ وعلى من جذفت وعلّيت صوتاً ؟! وقد رفعت إلى العلاء عينيك على قدوس اسرائيل!!" (٢مل١٩: ٢٢) ... " وكان فى تلك الليلة أن

ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً . ولما بكروا صباحاً إذا هم جثث هامدة" (٢مل١٩: ٣٥) . وبعد عودة سنحاريب إلى نينوى ، ضربه ابناه بالسيف فمات.

☩ ☩ ☩

كل هؤلاء الضعفاء وقفوا أمام الله، يتغنون بقول المزمور :

"جميع عظامى تقول يارب من مثلك؟ المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه ، والفقير والبائس من سالبه " (مز٣٥: ١٠) .

ذلك لأن كلاً من المسكين والفقير والبائس ، يقول من أعماقه : ارحمنى يارب، فإنى ضعيف " . أما الأقوياء فإنهم مساكين .

حتى الخطية لا تمسك إلا الأقوياء .

وهكذا يقول عنها الكتاب "إنها طرحت كثيرين جرحى، **وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) .**

من أمثال هؤلاء الأقوياء : الذى لا يحترس من الخطية ، ويقول: ليس لمثلى هذه الخطايا . إنها بسيطة، تحارب المبتدئين! أما الضعيف فيحترس منها، ويقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف . هذا هو الذى يخلص ...

☩ ☩ ☩

هناك عبارة كتبتها مرة فى مذكراتى وهى :

قال الشيطان لله : اترك لى الأقوياء ، فإننى كفيل بهم. أما الضعفاء فإننى أخافهم . لأنهم إذ يشعرون بضعفهم، يحاربوننى بقوتك أنت، فيقدرون علىّ .

الضعيف الذى يصرخ لك قائلاً فى كل حين: ارحمنى يارب فإنى ضعيف ... فهذا لا أقدر عليه . لأنه كلما يصرخ تأتى أنت وتقف بجانبه ، وتحارب عنه ، فلا أقدر عليه .

✠ ✠ ✠

داود كان دائماً يصرخ إلى الرب ليحميه من الأقوياء .

فيقول " يارب بإسمك خلصنى ، فإن الأقوياء قاموا علىّ ، والأعزاء طلبوا نفسى " (مز٥٤: ١، ٢) وأنا ليس أمامى إلا أن أقول : "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" .. ذلك لأن الرب أقوى من جميع الأقوياء .

الله ضد الأقوياء المعتزين بقوتهم ، أو الشاعرين بقوتهم، أو المعتمدين على قوتهم .

✠ ✠ ✠

أنظروا ماذا يقول الرب فى سفر عاموص : "وأنا قد أبدت من أمامهم الأمورىّ، الذى قامته مثل قامة الأرز. وهو قوى كالبلوط.

أبدت ثمره من فوق، وأصوله من تحت" (عا٢: ٩) .

من غير المعقول ، أن يبحث الله عن المساكين ليبيدهم ، بل يبيد أولئك المرتفعين بقامتهم إلى السماء .

عند بناء الهيكل ، كان زربابل محتاجاً إلى معونة الله. لذلك وصلت إليه المعونة الإلهية فى سفر زكريا النبى تقول :

"لا بالقدرة ولا بالقوة ، بل بروحى قال رب الجنود " .

"من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زربابل تصير سهلاً" (زك٤: ٦) .

من هنا تأتى القوة للإنسان الضعيف ، من عند رب الجنود. وهكذا يقول أيوب الصديق للرب "كيف أعنت من لا قوة له، وخلّصت ذراعاً لا عزّ لها" (أى٢٦: ١) .

✠ ✠ ✠

فى صلواتك أيها الإبن المبارك ، حينما تصل إلى عبارة "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" .

ادخل إلى داخل نفسك ، وحطّم أصنامك المنصوبة فى هيكل ذاتك .

وأول صنم تحطمه ، هو ذاتك . ذاتك الكبيرة الضخمة القوية فى عينيك، الجميلة فى عينيك، التى تستطيع أن تقتدر ، وتستطيع أن

تعمل وأنت تنفـذ ، وتستطيع أن تضـرب وتعتـدى .. حطـم ذاتـك حطمها ...

وحينما تتحول ذاتك إلى تـراب ورمـاد، حينئـذ يقـف اللـه إلـى جوارك.

وحينما يقف الله إلى جوارك ، إهمس فـى أذنيه بهذه الأنشـودة الجميلة "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" .

مثال أيـوب

أيوب النبى العظيم ، حينما كان معتزاً ببره وعظمته ، ألقى إلـى التجارب والضربات .. عندما كان يغنى ويقول : ليتنـى كنـت كمـا فى الأيام السالفة "إذ غسـلت خطواتـى بـاللبن ، والصخـر سـكب لـى جداول زيـت . حين كنـت أخـرج إلـى البـاب وأهيـئ فــى السـاحة مجلسى .. صوت الشرفاء اختفى ، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم . لأن الأذن سـمعت فطوبتنـى . والعيـن رأت فشـهدت لـى .. لبسـت الـبر فكسانى . كجبة وعمامة كان عدلى " (أى٢٩: ١ - ١٤) .

وحينما يقول أيضاً في اعتزازه بقوتــه وعدلـه "هشـمت أضـراس الظالم، ومن بين أسنانه خطفت الفريسة " (أى٢٩: ١٧) ... وحينمـا كان يكرر عبارة "أنا" " أنا" ...

✠ ✠ ✠

عندما كان أيوب يقول هذه العبارات ، توبخ من الرب ، لأنه "كان باراً فى عينى نفسه" (أى٣٢: ١) (أى٣٨: ٢) .

ولكنه أخيراً رفض ذاته ، وقال للرب : "الآن .. أرفض وأندم فى التراب والرماد " (مز٤٢: ٦) .. لما وصل للتراب والرماد ، حينئذ رفع الرب عنه التجربة .. " وردّ الرب سبى أيوب، وأزاد على كل ما كان له ضعفاً " (أى٤٢: ١٠) .

لأنه لما وصل إلى التراب والرماد ، وصل فى نفس الوقت إلى قول داود : إرحمنى يارب فإنى ضعيف .

قديماً كانت له مهابته وعظمته التى قال فيها " رآنى الغلمان فاختبأوا ، والأشياخ قاموا ووقفوا . العظماء أمسكوا عن الكلام ، ووضعوا أيديهم على أفواههم " (أى٢٩: ٨، ٩). أما الآن فإنه تراب ورماد .. وصل أخيراً إلى حقيقته .

☩ ☩ ☩

نصيحتى لكل إنسان : انسَ قوتك . انسَ العظمة التى أنت فيها ، أو التى تشتهيها .

إن أعطيت سلطة لا تستخدمها ، أعنى لا تستخدمها الإستخدام الذى يرفع نفسك .

لا تقوَ على غيرك . لا تضع أحداً تحت قدميك . لا تتكبر على

أحد. لا تحاول أن تغلب باستمرار وأن تنتصر كل حين، وفى كل مجال تظهر شخصيتك وقوتك .. لا تذل أحداً .. بل اتضع أمام كل أحد. وقل أمام الله كما قال داود ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

ضعف داود ومذلته

فى الواقع أن داود النبى ، كان فى مزاميره يتكلم كثيراً عن ضعفه ومذلته ، وبخاصة أمام قوة أعدائه وجبروتهم ...

ليس فى هذا المزمور السادس فقط ، وإنما فى كثير غيره . فهو فى آخر مزمور من مزامير صلاة باكر يقول :

" إن العدو قد اضطهد نفسى، وأذلَ فى الأرض حياتى . أجلسنى فى الظلمات مثل الموتى منذ الدهر .. انقذنى من أعدائى يارب، فإنى لجأت إليك ... بحقك تخرج من الشدة نفسى [مز ١٤٢ (١٤٣)]

إنه لا يقف أمام الله كقوى منتصر على أعدائه، بل يقف كضعيف يواجه خطورة أعدائه . أعداؤه اضطهدوه وأذلوه وأجلسوه فى الظلمات مثل الموتى .

✠ ✠ ✠

فماذا تستفيد أنت من هذه المزامير ؟ كيف تطبقها فى حياتك ؟ وبأى معنى؟ وماذا تعنى بكلمة أعدائك ؟

إما تطبقها في المعاملات ، وأعداؤك هم خصومك ومقاوموك. أو في حياتك الروحية ، وأعداؤك هم الشياطين والأفكار والشهوات .

العدو – عدو الخير – اضطهد نفسي . أطال حربه عليّ، وأذلني بالسقوط في الخطايا ، وبعدم قدرتي على مقاومته. وأجلسني في الظلمات . والظلمة هي حياة الخطية، هي البعد عن النور الحقيقي. هي التي أحبها الناس أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣: ١٩) . والذين يعيشون في هذه الظلمة، لهايتهم أن يُطرحوا في الظلمة الخارجية (مت٨: ١٢) حيث البكاء وصرير الأسنان (مت٢٥: ٣٠) .

إنه الموت الروحي (لو١٥: ٢٤) (رؤ٣: ١) ، الذي يقود إلى الموت الأبدي . وهو مصير الذين يجلسون في الظلمات، فيكونون مثل الموتى إلى الدهر .

✠ ✠ ✠

هكذا يتكلم داود عن قوة أعدائه الذين أذلوه . ويقول عنهم في [مز١٩(٢٠)] "هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل . ونحن باسم الرب ننمو" .. أنا لست مثل هؤلاءِ الأقوياء ، أصحاب المركبات – كما كان فرعون بمركباته – ولكنني باسم الرب أنمو ، كما دخلت على

جليات باسم رب الجنود (١صم١٧: ٤٥) .

✠ ✠ ✠

وفى أول مزمور من مزامير الساعة السادسة ، نقول مع داود "استمع يا الله صلاتى .. فإن الغرباء قد قاموا علىّ، والأقوياء طلبوا نفسى. ولم يجعلوا الله أمامهم " [مز٥٣(٥٤)] ....

هؤلاء الغرباء عن ملكوتك، والأقوياء بكل أسلحة عدو الخير. هؤلاء طلبوا نفسى ليهلكوها. ولم يجعلوك أمامهم. أما أنا فقد جعلتك أمامى فى كل حين. لأنك عن يمينى فلا أتزعزع (مز١٦: ٨) .

إن قوة أعدائى ، أضع أمامها قوة الله .

✠ ✠ ✠

يتابع داود حديثه عن قوة أعدائه فيقول فى ثانى مزمور من مزامير الساعة السادسة " أرسل الله رحمته وحقه، وخلعى نفسى من بين الأشبال، إذ نمت مضطرباً " [مز٥٦(٥٧)] ... خلص الله نفسه من بين الأسود، وهو مسكين نائم وهو مضطرب وخائف ..

ويستطرد فى نفس المزمور فيقول "أسنان أبناء البشر سلاح وسهام، ولسانهم سيف مرهف.. نصبوا لرجلى فخاخاً، وأحنوا نفسى. حفروا قدام وجهى حفرة، فسقطوا فيها" .

إننى كلما أذكر قوة أعدائى يارب ، وتآمرهم علىّ ، إنما أذكر

مع ذلك أيضاً تدخلك لإنقاذى .

سوف أنسى لسانهم الذى يتقولون به علىّ ، فى عنف السيف المرهف. وسوف أنسى الفخاخ التى نصبوها أمامى لكى يصطادونى بها.وسوف أنسى الحفرة التى حفروها أمامى لأسقط فيها .. ولكننى سأذكر فقط رحمتك التى جعلتهم يسقطون فيما حفروه لى من حفر..

✠ ✠ ✠

بل إن داود يشرح مدى عنف أعدائه وإحاطتهم به كالنار ، فيقول فى مزمور ١١٧ (١١٨) [من مزامير الغروب] :

"أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى .. أحاطوا بى مثل النحل، والتهبوا كنار فى شوك ...

وماذا كان موقفك يا داود أمام كل هذه الخطورة ؟

يقول "دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى .. "

"يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى " .

"يمين الرب صنعت قوة ، فلن أموت بعد بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب " .

لن أتحدث عن ضعفى ، ولا عن قوتهم ، بل عن عمل الرب معى ، وإنقاذه وخلاصه .

✠ ✠ ✠

وهكذا فإن داود يختم حديثه عن قوة أعدائه وهجومهم القاسي عليه ، بتلك الأنشودة الجميلة :

" قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً " .

ونحن نتذكر هذه العبارة العميقة فى دلالتها ، وننشدها فى أسبوع الآلام ، متذكرين فى كل ما تعرض له السيد المسيح من آلام وضيقات ، إنها صارت لنا قوة وخلاصاً ، نسبح الرب بها ، لأنه هو قوتنا وخلاصنا .

✠ ✠ ✠

نتذكر لداود أيضاً مزموراً من مزامير صلاة الغروب، يقول فيه: "لولا أن الرب كان معنا، حين قام الأعداء علينا، لابتلعونا ونحن أحياء، عند سخط غضبهم علينا " [مز١٢٣ (١٢٤) : ٢، ٣].. هل إلى هذه الدرجة كنت ضعيفاً أمامهم يا داود؟! وإلى هذه الدرجة كانوا أقوى منك ؟!

يجيب "مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم " ... كأنهم وحوش مفترسون إذن؟! نعم ، ولكن الله تدخل "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض " ..

وكأن داود يقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف . أنا مثل

عصفور صغير ومسكين ، واقع بين فخاخ الصيادين . لو لم تدركني رحمتك ، لوقعت في أيديهم . صياد واحد يقدر عليّ. فكم بالأكثر عدد من الصيادين!!

✠ ✠ ✠

يقول للرب أيضاً في مزمور من مزامير صلاة النوم :

"بصوتي إلى الرب صرخت .. أبث لديه ضيقي، عند فناء روحي مني. وأنت علمت سبلي. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً. تأملت عن يمين وأبصرت. فلم يكن من يعرفني . ضاع المهرب مني ، وليس من يسأل عن نفسي . فصرخت إليك يارب" [مز ١٤١ (١٤٢)] .

✠ ✠ ✠

هذه الصلاة هي صراخ نفس في ضيقة ، أمامها فخاخ العدو، وليس من مهرب ، وليس من يسأل عنها. المعين الوحيد هو الله.

إذن طريق القديسين ليس سهلاً . إنه الطريق الكرب ، والباب الضيق ، وهجمات العدو ، وكثرة العثرات والمتاعب والأحزان . وهكذا يصرخ داود إلى الرب في نفس المزمور "نجني من الذين يضطهدونني، فإنهم قد اعتزوا أكثر مني" . إنه هنا يعترف بضعفه ،

وبأن أعداءه أقوى منه . لذلك يقول صرخت إليك يارب : نعم وأصرخ وأقول : ارحمنى يارب فإنى ضعيف ...

✠ ✠ ✠

لقد مسحه الله ملكاً . ولكن الملك لم يكن سلطة وعظمة وكرامة. وإنما "كثيرة هى أحزان الصديقين .. " (مز٣٤: ١٩) .

وقد أحس داود بكل هذه الضيقات التى تحيطه من كل جانب، كما أحس أيضاً بكثرة الأعداء فى حياته ، فقال :

"أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب" (مز٦٩: ٤).

✠ ✠ ✠

وهل اقتصر الأمر على بغضة هؤلاء لك ، ومشاعرهم الرديئة من نحوك؟ كلا، بل قادتهم البغضة إلى الإعتداء . وهكذا يقول :

" على ظهرى جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم " [مز١٢٨ (١٢٩)] .

هذا هو داود ، الذى يقف أمام الله كمسكين : أعداؤه قد أعتزوا أكثر منه، هو ليس فى مثل قوتهم ، كما أن عددهم أكثر من شعر رأسه . وقد اضطهدوه ، وأطالوا إثمهم. طالت به المدة، وهو يجلد على ظهره .. حقاً ، إنه يقف أمام الله كضعيف يطلب معونته ، ويقول له ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

✠ ✠ ✠

ولكنه وهو واقع تحت اضطهاد هؤلاء الخطاة له ، يؤمن تماما – وبالخبرة – إن الله سيخلصه منهم ويقضى عليهم، فيقول :

الرب صدّيق هو ، يقطع أعناق الخطاة .

بل يقول أيضاً " الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين" [مز ١٢٤ (مز ١٢٥)] . يمكن أن يتعرضوا لضربات هذه العصا من الخطاة. ولكنها لا تستقر عليهم ، أى لا يستمر الأمر هكذا، فلابد أن يتدخل الرب ، وينزع هذه العصا .

✠ ✠ ✠

ولكن متى ينزعها الرب؟ قد يتركها فترة طويلة ، من الألم المرير الواقع من هؤلاء الخطاة الذين أطالوا إثمهم، حتى يشكو داود ويقول "متى تجرى لى حكماً على الذين يضطهدوني" " كثر على ظلم المتكبرين" " كلت عيناى من إنتظار أقوالك ، متى تعزينى؟ " (مز ١١٩) إلى أن يصرخ فيقول :

"كادوا يفنوننى على الأرض .. " (مز ١١٩: ٨٧) .

وفى ترجمة أخرى " لولا قليل لأفنونى من الأرض " ...

هذا هو داود، الذى كان يقول فى المزمور " ارحمنى يارب فإنى ضعيف " .

✠ ✠ ✠

وأنت أية تأملات تجول فى ذهنك ، خلال ما يقوله داود عن ضعفه فى المزامير ؟

يمكن أن تقف فى حروبك الروحية صارخاً إلى الله من قوة جنود الشر الروحية ، التى اعتزت أكثر منك ...

جنود الشيطان الذين اضطهدوك بلا سبب، وأطالوا إثمهم وكادوا أن يفنوك من على الأرض .. تصرخ إليك من الأفكار القاسية الملّحة، التى تريد إسقاطك، وتطلب لنفسك لتهلكها .. وتقول فى كل ذلك " إرحمنى ياربى فإنى ضعيف " .

سواء إن كنت محارباً بخطية ، وأنت غير قادر على مقاومتها.. أو إن كنت فى ضيقة ، وأنت غير قادر على الخروج منها .. فى كلتى الحالتين تقول مع داود "ارحمنى يارب فإنى ضعيف " .

✠ ✠ ✠

إن داود بعد الخطية الكبرى التى وقع فيها (٢صم١١)، شعر بضعفه بالأكثر . فى الأول كان يقال عنه إنه "جبار بأس" (١صم١٦: ١٨) . وغنت له النساء بالرقص والدفوف والفرح قائلات "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته" (١صم١٨: ٦، ٧) .. أما الآن فلم تهزمه ألوف ولا ربوات، بل إمرأة واحدة " ـ ووقع فى الخطية ، واذل ...

فى الواقع إنه كما أذلته الخطية، كذلك نقول إنـه استفاد أيضاً من هذا الذل .

لهذا نراه يقول فى المزمور الكبير "خير لى يارب أنك أذللتنـى، حتى أتعلم حقوقك" (مز١١٩: ٧١) . فما هو الخير الروحـى الـذى حصل عليه ؟

أولاً بدأ يشعر بضعفه ، وهذا لـون جميـل مـن إتضـاع النفس . وهكذا يقول فـى مزمـوره السـادس "إرحمنـى يـارب فـإنى ضـعيفٌ" ضعيف ، وفى حاجة إلى رحمة من الله .

نفسى قد إنزعجت

وماذا يقول بعد ذلك ؟ يقول :

اشفنى فإن عظامى قد اضطرب ، ونفسى قد انزعجت جداً .

بدأ يشعر أنه مريـض ، جسـداً وروحـاً ، فالخطيـة ونتائجهـا لهـا تأثير على كليهما . فمن جهة الجسد يقول :

فـإن عظـامى قـد اضطربـت : لـوْ ارتعـش الجسـد، لكـان الأمـر سـهلاً. أمـا أن تضطـرب العظـام الصلبـة القويـة ، البنيـان الهيكـل الجبار، فإن هذا يدل على أن جسده كله على وشك الضياع ....

وليس جسده فقط ، بل يقول " ونفسى قد انزعجت جداً " ...

✠ ✠ ✠

انزعاج النفس كان تعويضاً وردّ فعل للّذة الخاطئة التى نالتها نفسه من الخطية ...

إن الخطية ليست مجرد تحقيق لشهوة الجسد، إنما لها رد فعل عنيف على النفس فيما بعد ، حينما يستيقظ الضمير النائم ، وحينما يقول له ناثان النبى "أنت هو الرجل .. " . "لماذا احتقرت كلام الرب ، لتعمل الشر فى عينيه .. " " قد جعلت بهذا الأمر أعداء الله يشمتون .. " (٢صم١٢: ٧- ١٤) .

وهكذا حينما أدرك عمق خطيته ، بدأت نفسه تتعب وتنزعج .. وصار يبكى وينتهد ، بل يقول " تعبت فى تنهدى " ...

إلى متى

ولم يكتف بهذا ، بل فى عمق تعبه النفسى ، قال للرب :

" وأنت يارب فإلى متى ؟ عُد ونج نفسى، وإحينى من أجل رحمتك " .

عبارة " أحينى" تعنى أنه فى نظر نفسه ميت .. طبعاً يقصد بهذا الموت الأدبى والموت الروحى . كما قال الأب فى عودة إبنه الضال " إبنى هذا كان ميتاً فعاش " (لو١٥: ٢٤) ، وكما قال الرب لملاك كنيسة ساردس "إن لك إسماً إنك حىّ ، وأنت ميت"

(رؤ٣: ١) .

إذن داود فـى وصـف نفســه : ضعيـف ، ومريـض ، عظامــه مضطربة منزعجة ، وتعبان ، ومتنهد ، وباكٍ وميت ...

✠ ✠ ✠

تركه الله حتى استوى ، حتى امتلأ كأسه ، وذُلّت نفسه، .

انفتحت عيناه أخيراً، وانكشف عنه الغطاء ، وشعر بحقيقة ذاتـه، فإذا هو لا شئ قدام نفسه .. رأى نفسه ضعيفاً ومريضـاً ومحتاجـاً إلى رحمة الله .. لقد تغير حالـه عن ذى قبل .. رفـع الغطـاء عن الجبار ، فإذا هو فى الموازين إلى فوق (مز٦٢: ٩) . أين جبـار البأس ؟! إن مجرد نظرة ألقاها على جارته من فوق سطح بيتـه (٢صم١١: ٢) ، إنهار أمامها كل بنيانه . حقاً إن الإنسـان لا شـئ " إنمـا نفخـة كل إنسان قد جُعـل .. " (مـز٣٩: ٥، ١١) .. مجـرد منظر...

✠ ✠ ✠

أين ذلك الجبار ، رجل الحرب ؟! أين رجل المزمار والقيثار ؟! أين العود الذى كان يضرب عليه ، فيهدأ شاول حينما يقتحمه الروح الردئ ؟! أين رجل الصلوات الذى مازلنا نتعلم الصلـوات مـن مزاميره؟! أين .. أين .. ؟ لقد بقيت منه عظـام مضطربـة ، ونفس

منزعجة ، وصوت يصرخ إلى الله ويقول :

وأنت يارب إلى متى ؟ عُد ونجّ نفسي ...

إلى متى أظل فى هذا التعب الداخلى ، وهذا الحزن الذى يحاصرنى ؟.إلى متى أظل في صغر النفس ، والشعور بالخسة والعار؟! وذكريات الخطية تتعبنى .. إلى متى تتركنى هكذا؟ عُد ونجّ نفسي . امنحني بهجة خلاصك . إنضح علىّ بزوفاك فأطهر. إغسلني فأبيض أكثر من الثلج" .. إحيني من أجل رحمتك ..

✠ ✠ ✠

"نفسى قد انزعجت جداً " أى أنه فقد سلامه الداخلى .

لأن الخطية لا يمكن أن يكون معها سلام .. "لا سلام – قال الرب – للأشرار" (أش٤٨: ٢٣) . أين يا داود تسابيحك وأغانيك؟! أين قيثارتك الحلوة ؟ .. لقد علقت قيثارتى على أوراق الصفصاف . كيف أسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟! (مز١٣٧: ٢، ٤) ... الخطية جعلتنى في حالة غربة عن الله ...

✠ ✠ ✠

"نفسى قد انزعجت جداً" . حقاً إن آلام النفس أصعب من آلام الجسد .

لذلك يقول للرب : عُد ونجّ نفسى . عُد أنت إلىّ، إن كنت لم

أعد إليك.. ونجّ نفسى، لأن نجاتها فى يدك أنت وحدك .. أنت الوحيد الذى تستطيع أن تعزينى . لأنى أعرف جيداً أنى "إليك وحدك قد أخطأت ، والشر قدامك صنعت. فأحينى من أجل رحمتك.

وصل داود إلى إنسحاق النفس ، فوصل بذلك إلى الله .

✠ ✠ ✠

ووقف أمامه يتكلم معه بصراحة ، ويشرح له حاله بعد الخطية. ويطلب رحمته . ويقول له "وأنت يارب إلى متى؟" .

أنا يارب قد سقطت . ولكن أنت ؟ أين أنت منى ؟

لماذا يعيروننى قائلين : أين هو إلهك ؟! (مز ٤٢: ١٠) .

أنا مهما بعدت عنك ، أنت لا تبعد عنى . ومهما كنت ضعيفاً ، أنت الذى تسند ضعفى . وإن كنت ساقطاً ، أنت الذى تقيمنى من سقطتى . وإن كانت الخطية قد أهلكتنى ، عُد ونجّ نفسى، وأحينى من أجل رحمتك . كرحمتك يارب وليس كخطاياى .

✠ ✠ ✠

نحن إنما ندخل إلى قلب داود ونتخيل مشاعره ...

هو لم يقل هنا : إلى متى يارب تنسانى (مز١٣: ١) ولا إلى متى يارب تقف بعيداً ، إلى متى تختفى فى وقت الضيق (مز١٠: ١) ... إنما فى هذا المزمور قال إلى متى .. وسكت !! غلبه التأثر

فلم يكمل العبارة .. أنت يارب فاهم ما أقصد ...

الذى أنتظره يارب منك أن تتدخل . لا تتركنى .

لا تتركنى لنفسى الضعيفة ، ولا تتركنى لأعدائى الأقوياء . ولا تتركنى لعظامى المضطربة ، ولا إلى نفسى المنزعجة .

يقول له : إلى متى ؟ لأنه قد طال الزمان ، وثقل الهم . وشعر داود بالإحتياج إلى الله .

✠ ✠ ✠

إن الله فى الحقيقة: أحياناً يستجيب بسرعة، وأحياناً يبطئ !

له حكمته فى الإستجابة السريعة ، وله حكمته فى الإبطاء .

من جهة الإستجابة السريعة ، يعطينا مثلاً عجيباً فى (أش٦٥: ٢٤) إذ يقول الرب "ويكون إنى قبلما يدعون، أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنى أنا أسمع " ...

قبلما يطلبون الطلب ، أنا أجيبهم إليه .. حقاً هذا عجيب . ولكنه ليس عجيباً على الله الذى كثيراً ما يعطينا قبلما نطلب .

ويقول "فيما هم يتكلمون بعد " أى قبل أن يكملوا كلامهم ، إنى أنا أسمع .. لأنى أسمع ما فى القلب ، قبل أن يفوه به اللسان ...

✠ ✠ ✠

لعلك يارب تستجيب هكذا بسرعة للأبرار الذين لم يخطئوا إليك،

أو لمن لم يغضبوك بأفعالهم . أما أنا فلست من هؤلاء . أنا أستحى من أن أرفع وجهى إليك . لذلك عظامى قد اضطربت ونفسى قد انزعجت جداً .. لذلك قد صبرت علىّ . فإلى متى يارب ؟

لعله توجد فى عينيك يا داود بعض دموع مخزونة فى عينيك، أريد أن أعصرها فتسقط . ربما توجد بعض تنهدات لم تتأوه بها بعد... ربما يوجد بعض انسحاق . أنت محتاج إليه لتكمل به توبتك. لذلك أنا صبرت عليك .. صبرت حتى تقول "أعوّم فى كل ليلة سريرى، وبدموعى أبل فراشى ....

إلى متى يارب ؟ إلى متى أسلك كئيباً من مضايقة عدوى (مز٤٢ : ٩) من مضايقة أولئك الذين يحزنوننى قائلين : ليس له خلاص بإلله (مز٣) .. ربما يكون السبب منك أنت يا داود .

✠ ✠ ✠

الله دائماً يتدخل فى الوقت المناسب . قد نظن نحن أنه أبطأ . ولا يكون الأمر هكذا .

عُدْ وَنَجِّ نفسى

عُد ونجّ نفسى .

كونه يطلب من الرب أن يعود ، معناها أنه شاعر بالتخلى،

شاعر أن الله قد بعد عنه ، فارقه ، وقد اغترب هو عن الله . وأن الله لا يعمل معه . لذلك يقول :

عُد ونجّ نفسى . عظامى المضطربة ، فلتبق مضطربة . فليس الجسد هو الذى يتعبنى بالأكثر . ولكن ماذا عن نفسى المنزعجة جداً. أعطها شيئاً من السلام ، وشيئاً من التعزية ، ولا تترك نفسى هكذا فى انزعاجها .

إنك فى تجربة أيوب الصديق ، سمحت للشيطان أن يضرب جسده، ولكنك منعته من جهة نفس أيوب فلا يمسها ... (أى٢: ٦). وأنا نفسى قد انزعجت جداً . عُد ونجّ نفسى

✠ ✠ ✠

إنه شاعر بالتخلى وبالغربة عن الله ، وكأنه يقول له :

أين يارب محبتك الأولى ؟ أين تعزياتك القديمة ؟

أين وجهك ، لماذا صرفته عنى ، فصرت قلقاً .

ولعل هذا ما شعر به أيوب أيضاً فى وقت مذلته ، فقال : "يا ليتنى كما فى الشهور السالفة ، وكالأيام التى حفظنى الله فيها . حين أضاء سراجه على رأسى ، وبنوره سلكت فى الظلمة ورضا الله على خيمتى .. إذ غسلت خطواتى باللبن ، والصخر سكب لى جداول زيت ... " (أى٢٩: ٢- ٦) .

هكذا داود يقول : عُد يارب .

عُد إلى علاقتك معى ، كالأيام التى اخترتنى فيها من بين كل أخوتى ، وأرسلت صموئيل النبى ليسكب علىّ من دهن المسحة ، فيحل علىّ روحك القدوس (١صم١٦: ١٣) ... والآن عُد ونجّ نفسى وأحينى ....

✠ ✠ ✠

بين كل حين وآخر يقول : يارب .. لأنه لو لجأ إلى أحد آخر لا يجد عوناً ، ولا عزاء ولا رجاء .

وهذا كان منهج داود باستمرار . إنه يقول فى مزمور آخر "الرب لى معين، وأنا أرى بأعدائى . الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء" (مز١١٨: ٧ - ٩) .

✠ ✠ ✠

إنه يقول للرب (أحينى) . فلماذا ؟ يقول :

" لأنه ليس فى الموتى من يذكرك، ولا فى الجحيم من يعترف لك

وأحيّنى من أجل رحمتك

وأحينى من أجل رحمتك .

نعم ، من أجل رحمتك . وليس من أجل استحقاقى ، ولا من أجل توبتى، ولا من أجل صلاتى ، ولا من أجل دموعى . أحينى من أجل رحمتك . من أجل أنك حنون وطيب .

إنها حجة قوية يتمسك بها داود ، وهى رحمة الله ...

لو أن داود تمسك باستحقاق توبته ، لقال له الله : إنك لا تستحق شيئاً . فخطيتك موجهة ضد الله ، فتصبح بذلك غير محدودة . ومهما تبت فتوبتك محدودة ...

لكنه حينما يتمسك برحمة الله ، فالله رحمته واسعة . وداود يدرك هذا تماماً . فحينما خيّر بين ثلاث عقوبات ، بعدما أخطأ وعدّ الشعب ، قال داود " أقع فى يدى الله ، ولا أقع فى يد إنسان، لأن مراحم الله واسعة " (٢صم٢٤: ١٤) .

✠ ✠ ✠

يقول له : وأنت يارب ، فإلى متى ؟

كلمة (يارب) كررها كثيراً فى هذا المزمور :

يقول : يارب لا تبكتنى بغضبك ...

ارحمنى يارب فإنى ضعيف .

اشفنى يارب فإن عظامى قد أضطربت .

وأنت يارب ، فإلى متى ؟

وفى آخر المزمور يقول : لأن الرب قد سمع صوت بكائى. الرب سمع تضرعى . الرب لصلاتى قبل ...

سبع مرات فى مزمور يضم عشر آيات فقط .

حقاً إن "إسم الرب برج حصين ، يركض إليه الصديق ويتمنع" (أم١٨: ١٠) .

الله دائماً يتدخل فى الوقت المناسب. نظن نحن أنه أبطأ، ولا يكون الأمر كذلك .

ونظن أن الله قد نسينا ، أو أنه قد اختفى عنا . ويصرخ القلب قائلاً "اسرع وأعنى" (مز٧٠: ١، ٥) . بينما ما نراه إبطاءً ، ما هو إلا إنتظار الوقت المناسب للعمل من أجلنا .

كان الشعب يئن من نير العبودية، وكان الله يرى ويشفق . ولكنه يصبر ويقول لا أخرجكم الآن ... لماذا ؟ لأن "كأس الأموريين ليس كاملاً" (تك١٥: ١٦) . لم يمتلئ بعد كأس الغضب على أعدائكم . سيأتى الوقت الذى أطردهم أمامكم، وبالنسبة إليهم فى استحقاق وعدل . وحينئذ تكون "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو٨: ٢٨) .

✠ ✠ ✠

نقول له : وأنت يارب إلى متى ؟ ونحن واثقون تماماً أنه لابد

سيأتى ...

ولو فى الهزيع الرابع من الليل (مت١٤: ٢٥) ، ولو فى اليوم الرابع لموت لعازر (يو١١: ١٧) . إنه سيأتى . سيأتى سريعاً ولا يبطئ (رؤ٣: ١١) . إذن " انتظر الرب، تقوّ وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب " (مز٢٧: ١٤) . ليس بنفس منزعجة ، وإنما تقوّ . كن متشدداً . تقوّ بالإيمان .

✠ ✠ ✠

يتابع داود مزموره ، فيقول للرب :

ليسَ فى الموتى مَن يذكرك

فى وسط الخطية والتعب ، بدأ يذكر الموت . فإن تذكار الموت مفيد بلاشك ...

إنه يريد أن يطمئن على أن الرب قد أحياه (روحياً) قبل أن يموت. كثير من الناس يقولون نريد أن نموت . ولكن المهم أن يطمئن الإنسان على مصيره الأبدى قبل أن يموت. هل هو مطمئن على نفسه: إن مات، إلى أين يذهب؟!

✠ ✠ ✠

من هو الذى يشتهى الموت ؟ إنه الإنسان الذى يستطيع أن يقول

مع القديس بولس الرسول :

لى إشتهاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً " (فى١: ٢٣) .

هذا يعرف أنه بعد الموت سيكون مع المسيح . سيكون معه فى الفردوس (لو٢٣: ٤٣) . لذلك رأى أن ذاك أفضل جداً .

أما داود فكان لا يزال يخاف من الموت . لذلك يقول : ليس فى الموتى من يذكرك ولا فى الجحيم من يعترف لك ...

أنا أريد أن أذكرك الآن، وأعترف لك الآن، قبل أن أموت .

إننى أميل من جهة عبارة "ليس فى الموتى من يذكرك" أن يكون المقصود هو الموتى بالخطايا ...

وعن هذا قال الرسول "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا، التى سلكتم فيها قبلاً " (أف٢: ١) . لذلك فإن داود يقول :

إحينى .. لأنه ليس فى الموتى من يذكرك .

أعطنى أن أكون حياً فيك ، أى أنقذنى من الموت ، موت الخطية، ومن الخطية التى أجرتها الموت (رو٦: ٢٣) .

فإن صرت حياً فيك ، سأحيا إلى الأبد، لأنه ليس في الموتى من يذكرك . الأموات بالخطايا لا يذكرونك هنا على الأرض ، لأن لها مشاغل أخرى تلهيهم عنك . وأيضاً حينما يذهبون إلى الجحيم ، لا

يعترفون لك .

✠ ✠ ✠

هنا ، ونذكر أنواعاً من الموت .

أولاً موت الجسد ، وهو إنفصال الجسد عن الروح .

ثانياً : الموت الأدبى ، وهو فقدان الصورة الإلهية ، فقدان الطابع الروحى ، الذى يميز أولاد الله عن أهل العالم ، الذى قال عنهم الرسول "بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس [ظاهرون] " (١يو٣: ١٠) .

ثالثاً : الموت الروحى ، وهو إنفصال الروح عن الله . وهذا ما قصده الرسول بعبارة "أموات بالخطايا" (أف٢: ١، ٥) .

رابعاً : الموت الأبدى هو الهلاك الأبدى ، الذى قال عنه الرب فى مصير الأشرار " فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى " (مت٢٥: ٤٧). هو الإلقاء فى بحيرة النار والكبريت (رؤ٢٠: ١٠) ... فى الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (مت٢٥: ٣٠) .

✠ ✠ ✠

✠ الذين ينتهون إلى الموت الأبدى ، هم الذين قال عنهم الرب " تموتون فى خطاياكم . وحيث أمضى أنا ، لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (يو٨: ٢١) . هؤلاء لا يذكرون الله ولا يعترفون له ، وهم

فى ظلمتهم الخارجية ، التى هى خارج عشرة الله وقديسيه ، حيث هم فى بحيرة النار والكبريت .

✠ والذين فى الموت الأدبى ، أو فى الموت الروحى، فهؤلاء لا يذكرون الله أيضاً ولا يعترفون له ، لأنهم فى حياة الخطية . لكن أمامهم فرصة للتوبة وهم على الأرض . فإن تابوا ، ينطبق عليهم قول الأب : " إبنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد " (لو١٥: ٢٤) .

والتوبة بالنسبة إليهم ، تعتبر قيامة من الموت ، موت الخطية .

✠ أما موت الجسد ، فحسب نوعيته تكون الصلة بالله . إن مات الإنسان وهو فى حالة خطية ، تنطبق عليه عبارة "ليس فى الموتى من يذكرك ... " .

✠ ✠ ✠

أما الذى يموت فى بره ، فتنطبق عليه صلوات الكنيسة عنه، قائلة للرب :

لأنه ليس موت لعبيدك ، بل هو إنتقال .
هؤلاء فى موتهم يذكرون الله ويعترفون له ،
لأنهم يكونون معه فى الفردوس ، ثم فى الملكوت .

وطبعاً هؤلاء _ بعد الموت – يسبحون الله ويعترفون له

بأرواحهم ، التى تكون حيـة بعد الموت . أمـا الجسـد فيتحـول إلـى تراب ، وليس فى تلك الأجساد المائتة تسبيح لله ، إلا بعد القيامـة ، حينما تقوم أجساداً روحانيـة سماوية (١كـو١٥: ٤٤، ٤٩) . حينئذ تذكر الله وتعترف له بعد أن تتحد بأرواحها .

☩ ☩ ☩

هذا الموت بالجسد – فى بـر – يمتدحـه الرسـول ، فيقـول عنـه الرسول "لى الحياة هى المسيح . والموت هو ربح " (فـى١: ٢١) .

ويقول أيضاً "عالمون ونحن مستوطنون فى الجسد ، فنحن متغربون عن الله ، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيـان . فنثـق ونسـرّ بـالأولى أن نتغرب عن الجسد ، ونستوطن عند الرب " (٢كو٥: ٦- ٨) .

إنه يسرّ بالموت ، إذ يتغرب عن الجسد ، ويستوطن عند الرب.

أما أنت ففى صلاتك ، حاول أن تصل إلى عشرة مع الله، قبـل أن تموت .

☩ ☩ ☩

بعد أن يتذكر داود الموت ، وكيـف أن الموتـى لا يذكـرون اللـه ولا يعترفون له ، يقول للرب .

تعبت فى تنهدى

"تعبت فى تنهدى . أعوم فى كل ليلة سريرى .. " .

إنه يتنهد بصعوبة . لأنه عملياً الذى يتنهد كثيراً ، يأتى عليه وقت يتعب فيه من التنهد ، ويصبح غير قادر عليه ...

قيل مرة عن داود وأصحابه ، حينما أحرق العمالقة مدينة صقلع، وسبوا النساء وأخذوا الرجال والأطفال أسرى ... أن داود وأصحابه "رفعوا أصواتهم وبكوا . حتى لم يتبق لهم قوة للبكاء " (١صم٣٠: ٤) .. تعبير صعب ...

حقاً قد يبكى الإنسان ، ويكثر من البكاء ، حتى يأتى عليه وقت : يتعب فيه من البكاء ، ولا تبقى فيه قوة على البكاء !!

هكذا فعل داود .. تنهد على خطاياه ، حتى تعب من تنهده . تذكر شهوته وزناه ، تذكر كيف احتال على أوريا الحثى أن يذهب إلى بيته ، لكى يغطى هو على خطيته . وكيف كان الرجل أنبل منه وأسمى (٢صم١١: ١٠، ١١) . وتذكر كيف احتال لكى يقتل أوريا فى الحرب ، لكى لا يعمل بما حدث . وقتل أوريا فعلاً .

وتذكر كيف أنه لم يبال بتسببه فى قتل أوريا ، بل أرسل إلى يوآب رئيس الجيش يقول له " لا يسوؤ فى عينيك هذا الأمر .فإن

السيف يأكل هذا وذاك " (٢صم١١: ٢٥) .

بكـاء داود

لقد بكى داود . ولكنه لم يبك طلباً للمغفرة ، وإنما بعد أن نـال المغفرة !

لقد قدم توبة والتوبة تغفر الخطية . ولكن هذه المغفـرة لا تمنـع من أن الخطية قد أرتكبت وتم الأمر ، ولها آثارها النفسـية التـى قـد لا يستطيع الإنسان أن يتلافها ...

بالنسبة إلى داود ، كان قد نـال المغفـرة عـن خطيئتـه مـن قبـل، حينما شرح له ناثان النبى عمق تلـك الخطيـة ، فقـال داود "أخطـأت إلى الرب" . وقال له ناثـان "الـرب أيضـاً قـد نقـل عنـك خطيتـك، لا تمـوت" (٢صـم١٢: ١٣) ، أى نقلهـا إلـى حسـاب المسـيح ليمحوهـا بدمه ، وتغفر لك ، فلا تموت . إذن لماذا بكى داود ؟

لقد بكى تأثراً وحزناً ، إذ قد نزل إلى ذلك المستوى الذى فعل فيه كل ما فعل ...

لقد حزن لأنه أغضب الله . وأيضـاً لأنـه أحـزن الـروح القـدس الذى حلَ عليه يوم مسـحته .. حـزن أيضـاً لأنـه فقـد سـموه ، وفقـد نقاوتـه ، وفقـد بـره وعفتـه وطـهارتـه ، وفقـد نبلـه وانحـدر مسـتواه

الروحى ...

من جهة المغفرة ، قد غفرت الخطية . ولكن فى نفسه صوتاً يقول : كيف أفعل كل هذا؟! أين كان عقلى ؟ وأين كان ضميرى؟! وهكذا كانت خطيته أمامه فى كل حين " (مز ٥١) ، لا تفارق ذاكرته ولا تفارق مخيلته ، تذكره بأنه فقد الصورة الإلهية التى له. ولم يحتفظ بكرامة المسحة التى نالها من الروح القدس ، فتضطرب عظامه، ونفسه تنزعج جداً .

✠ ✠ ✠

إنه يقول : أعوّم كل ليلة سريرى . وبدموعى أبل فراشى .

ولماذا يعوّم سريره كل ليلة ، وليس بالنهار ؟

فى النهار مشغول عن نفسه بأشياء كثيرة .. مشغول بأمور الملك والجيش والقضاء ، والتعامل مع الناس ومع الشعوب المقاومة له . مشغول بأعباء المملكة ، وليس لديه وقت للبكاء على خطاياه . بل ولا يخطر ذلك على فكره ...

أما بالليل ، حينما يخلو إلى نفسه بعيداً عن دوامة العمل. وإذ ينفرد بنفسه، يحاسب نفسه كثيراً ، فيتذكر خطاياه ويبكى ..

✠ ✠ ✠

ويقول أعوّم كل ليلة سريرى ، وبدموعى أبل فراشى ...

لو قال أعوّم الوسادة بدموعى ، لكان الأمر معقولاً .. ولكنه يقول أعوّم سريرى . أبلّ فراشى .

وهذا يدل على كثرة البكاء الذى لا ينقطع ، الذى لا يبل وسادته فحسب ، بل فراشه كله ، ويعوّم سريره بالدموع ... إنه بكاء غير عادى ، من دموع لا تهدأ ولا تقف عند حدّ ... كل جزئية من تفاصيل خطيته تحتاج إلى بكاء . وعلى فراشه خطيته أمامه فى كل حين (مز ٥١) .

✠ ✠ ✠

نعم هذا هو داود الباكى فى لياليه ، الذى يقول :

" فى المساء يحل البكاء .. " (مز ٣٠: ٥) .

إنها فترة هادئة يقضيها مع نفسه ، بعيداً عن دوامة العمل والمشغوليات ، يصلى ويتأمل ، ويتذكر خطاياه فيبكى .

حينما تتذكر بكاء داود اسأل نفسك : هل لك بكاء على خطاياك مثل بكائه ؟!

✠ ✠ ✠

إنه يقول أيضاً بعد ذلك :

تعكرت من الغضب عيناى .. شاخت من سائر أعدائى .

وفى ترجمات أخرى "تعكرت من الغم عيناى" . والقصد واحد:

سواء حزنه على حالتـه ، أو غضبـه علـى نفسـه ، أو غضـب اللـه، بسبب كل هذا "تعكرت عيناه" .

أى أنـه بسـبب الحـزن والبكـاء ، ومـن الغضـب الـذى ثـار فـى صـدره ضـد مـا ارتكـب مـن خطايـا ، تعكـرت عينـاه ، وأدركتهمـا الشيخوخة فى غير وقتها . وهذا واضح الحدوث ...

الـدمـوع

ما أكثر القصص عن الدموع فى حياة القديسين .

القديس أرسانيوس الكبير من كثرة بكائه تساقطت رموش عينيه. هذا القديس العظيم كان يبلل الخوص بدموعه ، وكـان يضـع فوطـة على رجليه أثناء عمل يديه ليتلقـى فيها دموعـه . بينمـا أرسـانيوس هذا كان رجل صلاة ، يقضى الليل كله فى الصـلاة . يقف للصـلاة والشمس قد غابت ، ويظل يصلى حتى تظهـر أمامـه مـرة أخـرى . ومع ذلك فهو يبكى ...

✠ ✠ ✠

ونحن نخطئ خطايا لا حصر لها ، وبدون بكاء .

أخشى أننا نكون قد فقدنا البكاء علـى خطايانـا، مـن أجـل أننـا مشغولون بخطايا غيرنا وليس بخطايانا .

أو أننا فقدنا البكاء على خطايانا ، من أجل إنشغالنا بإرتكاب خطايا أخرى .

البكاء عبارة عن موضوع طويل لست أدرى هل سأستطيع أن أوفيه هنا أم لا ...

☩ ☩ ☩

المهم أننى أريد أن أقول لكم حقيقة ثابتة وهى :

داود كثير البكاء

إن داود كان شخصاً كثير البكاء .

يقول " أكلت الرماد مثل الخبز ، ومزجت شرابى بالدموع (مز١٠٢: ٩).

أى أنه يمسك كوباً ليشرب ، فتنزل دموعه فى الكوب وهو يشرب فيمتزج شرابه بالدموع ...

ما أعجب حساسيته !! ونحن نشرب الخطية كالماء ، وننسى

إن داود من كثرة دموعه ، يقول للرب "اجعل دموعى فى زق عندك" (مز٥٦: ٨) . ويقول :

صارت دموعى لى خبزاً نهاراً وليلاً (مز٤٢: ٣) .

وفى صومه أيضاً كان يبكى ، ويقول "أبكيت بصوم نفسى"

(مز٦٩: ١٠) . إنه يبكى أمام الله ويقول له أنصت إلى دموعى ، ولا تسكت عنى، لأنى غريب عندك" (مز٣٩: ١٢) .. بكى داود لأنه قال "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالإبتهاج " (مز١٢٦: ٥) .

✠ ✠ ✠

وظل داود يبكى على خطيته طول حياته . ولم يفتر أبداً عن البكاء ...

هل تعرفون متى أبطل البكاء ؟ حدث ذلك حينما وقف على حافة الأبدية على حافة الموت .

فقال وقتذاك : " ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك . فإن الرب قد أحسن إلىّ . وأنقذ نفسى من الموت ، وعينىّ من الدموع، ورجلىّ من الزلل" (مز١١٦: ٧، ٨) .

ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك ، بعد أن تعبت من التنهد، وتعبت من الدموع ، وكلّت عيناك من الحزن والغم .

✠ ✠ ✠

القديس أرسانيوس أيضاً كان يبكى حتى الممات .. وعند ساعة موته أنزعج . فقال له تلاميذه : حتى أنت يا أبانا تخاف ؟!

فقال لهم : إن فزع هذه الساعة ملازم لى منذ دخلت إلى

الرهبنة...

وأحد القديسين قال : من ثلاثة أمور أخاف : من ساعة الموت، انفصال نفسى عن جسدى. ومن ساعة الوقوف أمام منبر الديان العادل. وساعة خروج الحكم علىّ ...

✠ ✠ ✠

إن الدموع لازمة ، لأنها تطهر النفس ، وتغسلها من الخطية.

أنظروا ماذا يقول داود النبى العظيم : كلّت من الدموع عيناى، أى تعبت ...

ويقول الرب فى سفر يوئيل النبى " ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم ، وبالصوم والبكاء والنوح " (يوء٢: ١٢) .

فهل بكينا نحن على ضعفاتنا وعلى سقطاتنا الكثيرة؟ ونحن نصلى فى صلاة نصف الليل ويقول كل منا " أعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة .." (لو٧: ٣٨).

✠ ✠ ✠

لست أريد أن أطيل التأمل فى مسألة الدموع هذه فقد أصدرت لكم كتاباً عن الدموع ، يمكن أن ترجعوا إليه ...

الاستجابة

نرجع على مزمور داود (مز ٦) ونقول إنه لما وصل إلى الدموع، رفع الرب الحزن عنه. وأصبحت نهاية المزمور تختلف تماماً عن مقدمته ، إذ شعر بالإستجابة فقال :

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم .

لأن الرب قد سمع صوت بكائى

الرب سمع تضرعى . الرب لصلاتى قبل .

✠ ✠ ✠

ربما كانوا فاعلوا الإثم ، أولئك الذين شمتوا به فى سقطته ، إذ رأوا بعض عقوبات الله له ، فحسبوه مرفوضاً منه!! أو قد يكون المقصود بفاعلى الإثم : الأفكار التى تجلب الحزن أو اليأس .

وبالنسبة إلينا – حينما نقول ذلك فى صلاتنا – نقصد بفاعلى الإثم كل أفكار الخطية التى تحاربنا .

ابعدوا عنى ، لأن الرب قد سمع صلاتى ، حينما قلت له : وأنت يارب إلى متى ؟ عد ونجّ نفسى ...

✠ ✠ ✠

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم تعنى أمرين :

أولاً إن الله إذ سمع صلاتى ، قد طردكم عنى .

ثانياً : تعنى عدم قبول المصلى لتلك الأفكار فاعلة الإثم التى تحاربه ، وتجعل نفسه منزعجة جداً .

داود وهو يصلى ، أحسَ بعمل الله من أجله ...

أحسّ بأن الله قد سمع صلاته واستجاب ، وهو لا يزال يصلى...

دخل فى قلبه نور الرجاء ، فقشع منه سحابة الحزن . وأصبح لا قوة لفاعلى الإثم فى محاربته . بل أنه اكتسب سلطاناً أصبح به يطردهم من أمامه : ويقول لهم : ابعدوا عنى .. ليس بقوتى ، وإنما بواسطة الله الذى سمع صوتى تضرعى ، وقبل صلاتى . هذا الذى أقول له :

قم أيها الرب الإله ، وليتبدد جميع أعدائك ، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس .

وأصبحت توبته لا تتم فقط بالبكاء ، وإنما أيضاً بالبعد عن فاعلى الإثم ، وطردهم . وهكذا بالتوبة وقبول الله لصلاته ، استرجع سلامه الداخلى .

✠ ✠ ✠

يقول : الرب سمع صوت بكائى .

إن دموعه لها صوت . لذلك يقول فى موضع آخر "أنصت إلى دموعى" .. حقاً إن الدموع تتكلم بلغة أفصح من الألفاظ ، وأكثر إيقاعاً وتأثيراً .

" الرب قبل صلاتى " . دخلت هذه الصلاة إلى قلب الله ، واستجابها ، وآمن داود أنها قد استجيبت . شعر بذلك .

فتحولت دموعه إلى فرح ، وطلبته إلى شكر ، وانسحاقه إلى تهليل .

صارع مع الله ، وأخذ منه ما يريد ...

فى أول مزموره ، كان يقول "يارب لا تبكتنى بغضبك، ولا تؤدبنى بسخطك" . وفى آخر المزمور يقول " الرب سمع تضرعى. الرب لصلاتى قبل " .. هنا العزاء والراحة .

فليخز أعدائى

وهكذا نراه يختم مزموره بهذه العبارة :

فليخز وليضطرب جداً جميع أعدائى

وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى سريعاً جداً . هللويا .

سواء أعدائى الخارجين أو الداخلين .

فليخزوا . لأن عمل الرب معى ، قد أخزاهم . قبوله لصلاتى

وسماعه لتضرعي .. كل هذا يدل على قبوله ورضاه . وهذا ضد شماتتهم بى . فليخزوا إذن ، وليرتدوا إلى الوراء .

ولعل هذا يحمل استجابة لصلاة قالها فى مزمور آخر وهى :

" اصنع معى آية صالحة ، ليرى ذلك مبضغىّ فيخزوا " (مز٨٦: ١٧) .

وفى مزموره (مز٦) ، لا يقصد بالخزى مبغضيه فقط ، وإنما يقول فليخز (جميع أعدائى) . لأنه قال فى مزمور آخر "كثيرون قاموا علىّ . كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه" (مز٣)... كل هؤلاء الشامتين الحاقدين ، فليخزوا ... سريعاً جداً، وليرتدوا إلى الوراء ، وليضطربوا جداً ...

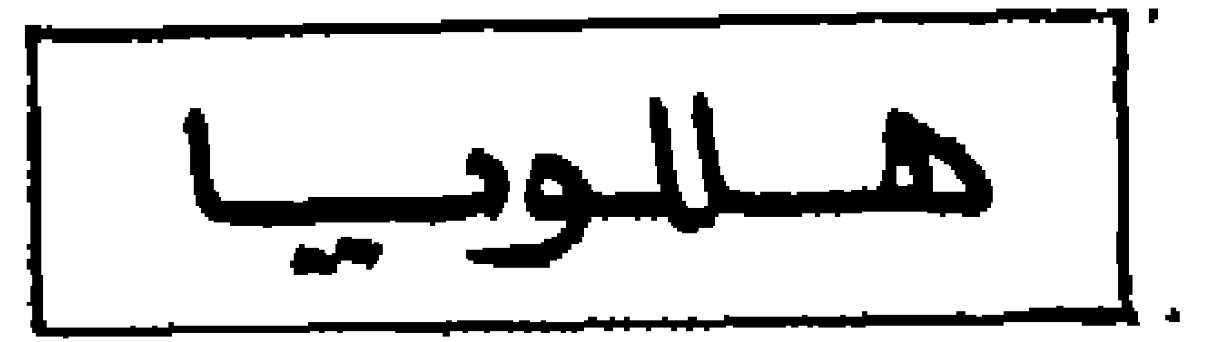
أما أنا فأفرح بالرب ...

بالرب الذى صنع معى آية صالحة .

بالرب الذى سمع صوت بكائى ، ولصلاتى قبل .

مبارك يا داود على هذا الفرح والتهليل . حقاً كما قلت :

صوت التهليل والخلاص فى مساكن الأبرار (مز١١٨: ١٥) .



يختم داود مزموره هذا بكلمة (هللويا) ...

وهى عبارة تعنى التهليل للرب ، أو الفرح بالرب .

وتختم بها كثير من مزامير داود، حتى المزمور الخمسين، مزمور التوبة المشهور ، ينتهى بعبارة هللويا أيضاً . وعجيب أن مزمور "لا تبكتنى بغضبك" المزمور الذى يبلل فيه فراشه بدموعه، ينتهى أيضاً بعبارة (هللويا) . وكذلك المزمور الثالث "يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى" . ومزمور "إلى متى يارب تنسانى" مز١٢(١٣) . بل كل مزامير صلاة باكر ...

حقاً إن داود قد يبدأ صلاته بالحزن ، ثم يختمها بالفرح والتهليل .

وكما يقول الكتاب " نهاية أمر خير من بدايته " (جا٧: ٨) . لأن البداية فها مشاكلنا نقدمها إلى الله . والنهاية تحمل حلّ الله لهذه المشاكل ...

وهكذا قد يبدأ داود مضطرباً يقول " نفسى قد أنزعجت جداً " وينتهى بالفرح والتهليل . إنه درس لنا .

تأملات فى المزامير
لقداسة البابا شنوده الثالث

١ - المزمور الخمسون (مع صلاة الشكر).

من مزامير صلاة باكر :

٢ - يارب لماذا ؟ (مز٣) .

٣ - يارب لا تبكتنى بغضبك (مز٦) .

٤ - يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر* مز٦٢ (٦٣) .

٥ - سبحوا الرب أيها الفتيان * مز١١٢ (١١٣) .

٦ - طوبى للرجل * مز١ .

٧ - إلى متى يارب تنسانى * مز ١٢ (١٣) .

من مزامير صلاة الساعة الثالثة :

٨ - يستجيب لك الرب فى يوم شدتك مز١٩ (٢٠) .

من مزامير الغروب :

٩ - إليك رفعت عينىّ يا ساكن السماء مز١٢٢ (١٢٣) .

١٠ - إليك يارب صرخت فى حزنى مز ١١٩ (١٢٠) .

١١ - رفعت عينى إلى الجبال ... مز ١٢١ (١٢٢) .

---

* تحت الطبع : يصدر الكتاب بعد أسبوعين إن شاء الله .

فهرست الكتاب

صفحة





بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد ، آمين

هذا الكتاب هو جزء من التأملات فى المزامير التى أصدرنا بعضها .

وهو مزمور من مزامير باكر، ويصلى أيضاً فى صلاة الستار، وفى الهجعة الأولى من صلاة نصف الليل .

إنه من أهم مزامير التوبة.

وهو من النوع الذى تختلط فيه دموع التوبة بالعزاء الإلهى، والشعور بالاستجابة. لذلك ينتهى بالفرح والتهليل .

مزمور نود أن يحفظه الجميع، ويصلون به .

وإلى اللقاء فى كتاب آخر يضم تأملات فى بعض مزامير باكر.

شنوده الثالث



الثمن ٧٠ قرشاً